الأستاذ العلّامة
الشيخ حسن مكّي العاملي

بداية المعرفة

(الجزء الأول)

منهجيّة حديثة في علم الكلام

www.ketab.ir

بداية المعرفة

حسن مكي العاملي

الناشر: ذوي القربى

المطبعة: كوثر

الطبعة: الأولى - ٢٠٠٥ م

الكمية: ١٢٠٠

الشابك: 964-7997-98-1

التوزيع:

مكتبة الصدر - إيران - النقال: ٩٨-٩١٢١٥١٠٤٦١+

منشورات ذوي القربى - إيران - قم - هاتف: ٧٧٤٤٦٦٣

www.ketab.ir

كلمة المؤلّف

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله القادر الذي إذا آرتَمَتِ الأوهامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ ، وحاول الفِكْرُ المُبَرَّأُ من خَطَراتِ الوساوِسِ أنْ يَقَعَ عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتَوَلَّهت القلوب إليه لتَجْرِيَ في كيفيّة صفاته ، وغَمَضَت مداخل العقول في حيث لا تَبْلُغُهُ الصفات لِتناوُلِ عِلْمِ ذاته ، رَدَعَها وهي تجوب مهاوي سُدَفِ الغيوب ، مُتَخَلِّصَةً إليه سبحانه ، فَرَجَعَتْ إذ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بأنه لا يُنالُ بِجَوْزِ الإعتساف كُنْهُ معرفته ، ولا تَخْطُرُ ببالِ أُولي الرويّات خاطرةٌ من تقدير جلال عزّته[1] .

والصلاة على رسوله الأمين المصطفى ، وأهلِ بيته خلفائِه الأطهار النجباء .

كنت قد لاحظت ـ وعانيت ـ أثناء دراستي العقائدية في الجامعة الإسلامية ، ثم فيما بعد أثناء تدريسي فيها لهذه المادة لعدّة سنوات ، وجود قصور فيها عن تلبية ما هو المطلوب منها ، خاصة في هذه الأزمنة التي

---

(١) نهج البلاغة ، خطبة الأشباح ، الخطبة ٩١ . (طبعة عبده، ص ١٦٢) .

www.ketab.ir

توسّعت فيها أبواب المعارف ، وارتدت كلّ معرفة ثوبَ علم مستقل بحياله .
ويتمثّل هذا القصور على صعيدين :

الأول : الموضوعات .

الثاني : المنهجة .

أمّا على الصعيد الأول ، فاختصار الكلام فيه ، أنّ المطلوب من مادّة العقائد الإسلاميّة إعطاء موضوعات منحصرة في إطار الإلهيات بالمعنى الأخص ، أعني ما يرجع إلى الصانع وصفاته وأفعاله ، لا غير . ليبقى لهذه المادة مجالها المفتوح للإتساع في أفقها دون خلطها بسائر المواد كالمنطق ، والفلسفة ، والإلهيات بالمعنى الأعم ، والتفسير ، والحديث ، ومادة العقائد المقارنة بالعقائد اليونانيّة والغربية ، وغيرها .

ولكن كتب الكلام القديمة ، وكثيراً من الحديثة ، لم تراع هذا المَيْز الموضوعي ، بل أدخلت موضوعات من تلك في هذه ، فأحدثت نوع تشويش وخلط في أذهان الطالبين وسدّت الباب أمام التركيز الفكري على هذا المجال بعينه ، وأعاقته ـ بالتالي ـ عن التطور المرجو .

وأما على الصعيد الثاني ، فيمكن تبيّن القصور فيه في عدّة جوانب ، أبرزها : الترتيب المنطقي للمباحث ، الذي ينبغي أن يبدأ بإثبات وجود الصانع ثم صفاته ثم أفعاله المتمثّلة بإرسال الأنبياء وإقامة خلفائهم ، ليؤدّوا للناس تكاليفهم ، ثم معاد الناس إليه تعالى للحساب .

وأما التقسيم القديم لأُصول الدين ، الذي يُعَنْوِن التوحيد والعدل كأساسين مستقلين إضافةً إلى النبوة والإمامة والمعاد ، فهو أقرب إلى التقسيم الثقافي والتوجيهي ، منه إلى التقسيم المنهجي لمباحث علم الكلام ، لأن التوحيد هو فرع من الصفات السلبية ، والعدل فرعٌ من الصفات الفعليّة ـ أعني ـ الحكمة .

وإنما ركّز القدماء على العدل كأصل من أُصول الدين ، لِما ساد القرونَ

www.ketab.ir

الأولى من نزاع بين الأشاعرة والمعتزلة حول قبح صدور القبائح منه تعالى وعدمه ، حيث قالت المعتزلة بالأول ، والأشاعرة بالثاني . فالتجأ المعتزلة إلى التركيز على العدل بجعله من أصول الدين ، لما له من أهمية قصوى في إثبات جملة من مسائل الأصول الحسّاسة .

والآن حيث زالت تلك المغمعة والحميّة الكلامية ، صار واجباً إدراج كل مطلب في بابه ، حتى تتّضح الصورة المنهجيّة المتناسقة لموضوعات علم الكلام لدى دارسيه . ولذلك أدرجنا بحث العدل والفروع الأخرى المترتّبة على الحكمة في مباحث الصفات . وهو الذي اقترحناه ونهجناه في كتابنا الموسّع « **الإلهيات** » .

وإضافة إلى هذين القصورين ، هناك قصور في الترتيب بين الكتب الكلامية التي يمر عليها الطالب في مرحلته الدراسيّة ، حيث ينبغي أنْ تتدّرج من المختصر إلى الواسع ، والأسهل إلى الأعمق .

هذه الأمور دفعتني في وقت سابق ، إلى تدوين كتاب **الإلهيات** الموسّع ، ليُدَرَّس تدريساً خارجياً على الطلاب ، أعني بكيفيّة إلقاء المدّرس البحث عليهم ، ليقوموا هم بجُهْدِهِمُ الخاص وتوجيه الأستاذ ، بقراءة المطالب التي تلقّوها ، عن الكتاب ، وتدارسها .

ثم أحسست بضرورة إيجاد كتاب مَتْنِيٍّ أَخْصَر ، ليكون في المنهج الدراسي سابقاً لذاك الكتاب ، فتريّثت في وضعه بعض الوقت ، لانشغالي بكتابات أُخرى ، حتى جاء الطلب ثم الإصرار من جانب بعض المسؤولين الأفاضل في الحوزة العلميّة ، فشجّعني ذلك على البدء بالعمل ، مستعيناً بالله العليّ القدير .

ولقد تقيّدت في هذا الكتاب بعدة أُمور ، لابأس بالإشارة إلى أهمها :

١ ـ راعيت في الكتابة أداء المطالب بالأُسلوب الحديث للكتابة العربيّة ، فهذا هو فرض الزمان ، والتلكأ عنه رجوع إلى الوراء ، وصدٌّ

www.ketab.ir

لمحصّلي الحوزات والجامعات الإسلامية عن مواجهة مجتمع العصر .

٢ ـ أداء حدود الحقائق المطلوب تعريفها ، بدقة ، وبالمقدار المطلوب .

٣ ـ وضع مقدّمات مفيدة لا بدّ لطالب العقائد من الاطّلاع عليها .

٤ ـ إختيار الضروري من المباحث المطلوب معرفتها في هذه المرحلة ، وترك ما زاد إلى مرحلة أُخرى .

٥ ـ في بعض المواضيع التي طُرِحَتْ فيها نظريات مختلفة ، بحثنا أشهرها ، وربما أشرنا في الهامش إلى الأخرى .

٦ ـ إدراج بحث العدل في مباحث الصفات الفعلية ، وبالتحديد الحكمة ، وجعله أحد الفروع التي تترتّب عليها . واخترنا من الفروع أهمها المناسب لهذه المرحلة .

٧ ـ فصل الدليل عن المدّعى ، ليكون البحث أقرب للإدراك والإستيعاب .

راعينا هذه الأمور إضافة إلى التبويب والعنونة لرؤوس المطالب ، ليخرج الكتاب واضحاً سهل التناول .

أرجو من الله تعالى قبول هذا العمل المتواضع ، وجعله مناراً لأهل الهداية ، بمحمد وآله ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

حسن مكّي العاملي
الهاشمي المطّلبيّ
٢٩ ذو الحجّة الحرام
مختتم العام ١٤١١هـ

www.ketab.ir

المحتويـــات

كلمة المؤلف ٥
مباحث الكتاب ٩
مقدمات ١١
المقدمة الأولى : تعريف علم الكلام ١٣
المقدمة الثانية : غاية علم الكلام وفوائده ١٥
المقدمة الثالثة : مرتبة علم الكلام ١٩
الكتاب ١٩
السنة ٢١
دفع شبهة ٢٤
المقدمة الرابعة : أسماء هذا العلم ٢٩
الأول ـ علم أصول الدين ٢٩
الثاني ـ علم التوحيد والصفات ٣١
الثالث ـ الفقه الأكبر ٣١
الرابع ـ علم النظر والإستدلال ٣١
الخامس ـ علم الكلام ٣٢
المقدمة الخامسة : نظرة عامة إلى تاريخ المذاهب والفرق الكلامية ٣٥
أول بذور التفرقة ٣٥

www.ketab.ir

عوامل التشتت الفكري ٣٦
العامل الأول ـ الإبتعاد عن آل البيت ٣٦
العامل الثاني ـ منع كتابة الحديث ٣٨
العامل الثالث ـ إنتشار الأحبار والرهبان والملاحدة ٤١
أمهات المذاهب الإعتقادية ٤٣
الخوارج : أول فرقة كلامية ٤٣
المعتزلة ٤٥
أهل الحديث ٤٦
الإمامية ٤٧
المرجئة ٤٨
المجبرة والمجسّمة والنّجارية ٤٩
الفتن الدموية ومحنة خلق القرآن ٥٠
الأشاعرة ٥٢
السلفية ٥٢
الوهابيّة : السلفيّة الحديثة ٥٣
الوضع الراهن ٥٤

الفصـــل الأول
وجـوب المعرفـــة

وجوب معرفة أصول الدين ٥٩
١ ـ الأدلة العقلية ٥٩
الدليل الأول ـ لزوم شكر المنعم ٥٩
الدليل الثاني ـ لزوم دفع الضرر ٦٠
الدليل الثالث ـ المعرفة ضرورة فكرية ٦١
٢ ـ الأدلة النقلية ٦٢
القسم الأول : الآيات الحاثة على التفكر ٦٢
القسم الثاني : الآيات الحاثة على كون المعرفة العقائدية عن دليل ٦٥

www.ketab.ir

المسلم والمؤمن ٦٨
الإستنتاج ٧١

الفصل الثاني
إثبات الصانع

أدلة وجود الصانع ٥٧
الدليل الأول : دلالة الأثر على المؤثر ٧٧
الدليل الثاني : برهان النظم ٧٩
صياغة برهان النظم ٨١
طبيعة النظام تستدعي المنظم ٨١
برهان النظم في الكتاب ٨٢
الدليل الثالث : برهان الإمكان ٨٣
مقدمة ٨٣
البرهان ٨٤
بيان الدور وبطلانه ٨٥
بيان التسلسل وبطلانه ٨٦

الفصل الثالث
صفات الصانع

مقدمة ٩١

الباب الأول
الصفات الثبوتية الذاتية

(١) العلم ٩٥
دليل كون الخالق عالماً : إحكام الخلق ٩٥
هذا الدليل في الكتاب والسنّة ٩٧
إشكال وجوابه ٩٨

www.ketab.ir

القرآن الكريم وسعة علمه تعالى ٩٨
(٢) القدرة ١٠١
تعريف القدرة ١٠١
أدلة كونه تعالى قادراً ١٠٢
الدليل الأول ـ الفطرة ١٠٢
هذا الدليل في الكتاب والسنة ١٠٣
الدليل الثاني : النظام الكوني ١٠٤
هذا الدليل في الكتاب والسنة ١٠٥
سعة قدرته تعالى ١٠٥
سؤالان وجوابان ١٠٧
(٣) الحياة ١٠٩
تعريف الحياة ١٠٩
الدليل على حياته سبحانه ١١٠
حياته تعالى في الكتاب والسنة ١١١
(٤)و(٥) السمع والبصر ١١٣
(٦) الإدراك ١١٥
(٧)و(٨) الأزلية والأبدية ١١٧

الباب الثاني
الصفات الثبوتية الفعلية

الإرادة ١٢١
حقيقة الإرادة ١٢١
حقيقة الإرادة الإلهية ١٢٢
١ ـ إرادته سبحانه ، علمه بالنظام الأصلح ١٢٣
٢ ـ إرادته سبحانه ، فعله وإيجاده ١٢٤
(٢) الكلام ١٢٧
حقيقة الكلام ١٢٧

www.ketab.ir

حقيقة كلامه تعالى ١٢٨
أ ـ نظرية المعتزلة : إيجاد الحروف والأصوات ١٣٠
ب ـ نظرية الأشاعرة : الكلام النفسي ١٣٠
حدوث الكلام أو قدمه ؟! ١٣١
(٣) الحكمـة ١٣٥
الله حكيم : متقن في فعله ١٣٥
الله حكيم : منزه عن فعل ما لا ينبغي ١٣٦
زيادة في البيان ١٣٦
مسائل في الحكمة :
(١) التحسين والتقبيح العقليان ١٣٩
(٢) العـدل ١٤٣
العدل في الكتاب والسنة ١٤٤
(٣) أفعاله تعالى معلّلة بالغايات ١٤٧
(٤) إختيار الإنسان ١٥١
١ ـ مذهب المعتزلة : التفويض ١٥١
٢ ـ مذهب الأشاعرة : الجبر ١٥٢
٣ ـ مذهب الإمامية : الأمر بين الأمرين ١٥٤
الأول : الإنسان مختار في فعله ١٥٤
الثاني : إختيار الإنسان في ظل المشيئة والقدرة الإلهية ١٥٥
تمثيل لتقريب النسبتين الحقيقيتين ١٥٦
« الأمر بين الأمرين » في الكتاب والسنة ١٥٧

الباب الثالث
الصفات السلبية

الصفات السلبية ١٦٣
(١) لا شريك له ١٦٥
١ ـ التوحيد في الذات : أحد ١٦٦

www.ketab.ir

٢ ـ التوحيد في الذات : واحد لا ثاني له ١٦٧
٣ ـ التوحيد في الخالقية : لا خالق سواه ١٦٨
٤ ـ التوحيد في الربوبية : لا ربّ سواه ١٦٩
الدليل الأول : الإستحالة العقلية ١٧٠
الدليل الثاني : ثبات النظام الكوني ١٧١
الدليل الثالث : وحدة النظام الكوني ١٧١
القرآن والمدبرات ١٧٢
سؤال ١٧٢
الجواب ١٧٣
٥ ـ التوحيد في العبادة ١٧٣
ما هي حقيقة العبادية ١٧٤
النتيجة الأولى : لا معبود سوى الله ١٧٥
النتيجة الثانية : مجرد التعظيم والتبرك والتوسل ليس عبادة ١٧٥
(٢) ليس بجسم ١٧٩
آراء منحرفة ١٨٠
(٣) ليس في جهة ، ولا مرئياً ، ولا متحداً بغيره ١٨٣
إنتفاء الجسمانيات ١٨٣
١ ـ ليس الله تعالى في جهة ١٨٣
٢ ـ الله تعالى لا يرى ١٨٥
٣ ـ الله تعالى غير متّحد بغيره ١٨٦

الفصل الرابع
النبوة

المقام الأول : النبوة العامة ١٩١
تمهيد ١٩٣
الأمر الأول : تعريف النبي ١٩٥
الأمر الثاني : لزوم بعثة الأنبياء ١٩٧

www.ketab.ir

دليل لزوم البعثة ١٩٧
توضيح الدليل في جهتين ١٩٨
الجهة الأولى ـ إستقرار الحياة رهن القانون الكامل ١٩٨
الجهة الثانية ـ النبوة تعرّف سبل سعادة الآخرين ٢٠٠
الأمر الثالث : شبهات منكري البعثة ٢٠٣
الشبهة الأولى ٢٠٣
الشبهة الثانية ٢٠٤
جوابها ٢٠٥
الأمر الرابع : كيف نثبت نبوة مدّعي النبوة ٢٠٧
الجهة الأولى : تعريف المعجزة ٢٠٨
١ ـ المعجزة خارقة للعادة ٢٠٨
٢ ـ المعجزة مقترنة بدعوى النبوة ٢١٠
٣ ـ المعجزة مطابقة للدعوى ٢١١
٤ ـ عجز الغير عن معارضتها ٢١٢
الجهة الثانية : وجه دلالة المعجزة على صدق المدّعي ٢١٤
الأمر الخامس : صفات النبي ٢١٧
الصفة الأولى : العصمة ٢١٧
أ ـ حقيقة العصمة ٢١٨
العامل الأول : التقوى الكاملة ٢١٨
العامل الثاني : شهود عواقب المعاصي ٢١٩
ب ـ دليل لزوم العصمة ٢٢١
* الإستنتاج ٢٢٢
الصفة الثانية : التنزه عن المنفرات ٢٢٥
المقام الثاني : النبوة الخاصة ٢٢٩
بعد الفترة ٢٢٩
لمحة تاريخية عن الرسول والرسالة ٢٢٩
الدليل على نبوته ٢٣١

www.ketab.ir

القرآن معجزة ٢٣٢
١ ـ القرآن مقترن بدعوى النبوة ٢٣٣
٢ ـ القرآن خارق للعادة ٢٣٣
٣ ـ عجز البشر عن الإتيان بمثله ٢٣٥
٤ ـ القرآن مطابق للدعوى ٢٣٧
سؤال وجوابه ٢٣٧

الفصل الخامس
الإمامة

تمهيد : تعريف الإمامة ٢٤١
الإمامة : « ولاية إلهية ، عامة ، خلافة عن الرسول » ٢٤١
الأمر الأول ـ الإمامة من أصول الدين ٢٤٢
الأمر الثاني ـ وظائف الإمام وصلاحياته ٢٤٣
الأمر الثالث ـ مواصفات الإمام ومؤهلاته ٢٤٤
شبهة ٢٤٥
جوابها ٢٤٥
الأمر الرابع ـ كيفية تعيين الإمام ٢٤٧
البحث الأول : الإمام بعد رسول الله علي بن أبي طالب ٢٥١
١ ـ ولاية علي (عليه السلام) في الكتاب ٢٥١
٢ ـ ولاية علي (عليه السلام) في السنة ٢٥٣
٣ ـ تظلّم علي (عليه السلام) من غصب الخلافة ٢٥٤
البحث الثاني : الأئمة بعد علي (عليه السلام) ٢٥٧
١ ـ عدة الأئمة : إثنا عشر ٢٥٨
٢ ـ أسماء الأئمة (عليهم السلام) ٢٥٩
الإستدلال من وجه آخر ٢٦٠
الإمام المهدي ٢٦١
البحث الثالث : ولاة الأمر الإلهيون ٢٦٣

www.ketab.ir

سؤال وجوابه : ما فائدة البحث عن إمامة علي في هذا العصر ٢٦٧
السؤال ٢٦٧
الجواب ٢٦٧

الفصل السادس
المعاد

المعاد ٢٧٣
تمهيد ٢٧٣
الدليل على وجود نشأة أخرى ٢٧٥
المعاد مقتضي الحكمة الإلهية ٢٧٥
أ ـ صيانة الخلقة عن العبث ٢٧٥
ب ـ العدل الإلهي ٢٧٧
كيفية معاد الإنسان ٢٨١

الفهارس

فهرس الآيات ٢٨٧
فهرس الأحاديث ٣٠٥
فهرس الأعلام ٣١٥
فهرس الفرق والمذاهب ٣٢١
فهرس الأماكن والبلدان ٣٢٧
المحتويات ٣٢٩

www.ketab.ir